البنية الحجاجية في الخطاب القرآني التربوي للأمّة من خلال غزوة بدر في سورة الأنفال

The Argumentation Structure in the Qur'anic Educational Discourse through the Battle of Badr in Al-Anfal Chapter

ط.د / بوترعة مسعودة
د. بوعافية محمد الصالح

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة قاصدي مرباح-ورقلة(الجزائر).

مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب ، جامعة ورقلة.

messaoudaboutera75@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/12/12 تاريخ النشر: 2022/03/15

ملخص:

تهدف هذه الدراسة بكل حيثياتها استجلاء البنية الحجاجية، وأساليبها الإقناعية، المكونة للخطاب القرآني، الموجهة لتربية الأمّة؛ من خلال التعليق على أهم قضايا وأحداث غزوة بدر، في سورة الأنفال.

وسنرى أنّ البنية الحجاجية قد تمظهرت في قضيتين مهمتين لتربية الأمّة وبنائها، وهما: قضية إصلاح ذات البين، التي تدعم وحدة الصف، وتآلف القلوب بين الأفراد، وقضية كسر الغرور بالنصر الناتج عن تحول في حال الأمة من الضعف إلى القوة .

فهما قضيتان تحتاجان إلى الأسلوب الحجاجي من أجل الإقناع بترك ما يضر هذه الأمة، وما يقضي عليها.

الكلمات المفتاحية: البنية الحجاجية؛ الخطاب القرآني؛ الإقناع؛ التربوي؛ الأمة؛ غزوة بدر.

Abstract:

This research paper seeks to illustrate the orbital structure, and its persuasive styles, which constitute the Qur'anic discourse for educating the nation, considering the most important issues in the Battle of Badr and its events, in Al-Anfal chapter.

We will see that the argumentation structure has shown in two significant issues for the upbringing and building of the nation, which are the issue of reconciling the two, which supports the unity of rank/groups, the harmony of hearts among individuals, and the issue of breaking the vanity with victory resulting from a shift in the state of the nation from weakness to strength.

They are two issues that need the argumentation and its styles so as to convince people for sake of abandoning what harms this nation, and what destroys it completely.

Key words: Argumentation structure, Quranic discourse, Persuasion, Nation, Battle of Badr.

مقدمـــة

القرآن الكريم رسالة ربانية لتكوين الفرد المسلم والأمّة الإسلامية القائدة للأمم، تضمنت آياته معالم التربية وأسس التغيير، فهو رسالة صالحة لكلّ زمان ومكان، لذلك قدّم لغة حيّة تَصْلُح لكلِّ العصور وتُصْلِح كلّ العصور، مخاطبا بها العقول والمشاعر.

هذه اللغة التي بُني عليها الخطاب القرآني تميّزت بالحجاج، والتحاور والتناظر والتحدّي، وذلك بمختلف الطرق البرهانية، الملائمة للإقناع بما تحمله هذه الرّسالة.

والمتتبع لهذه الرسالة القرآنية بخطابها التربوي للأمة في أحداث غزوة بدر في سورة الأنفال، يجد قضيتين رئيسيتين ركزت عليهما الآيات في هذه السورة وهما:

- قضية نبذ الخلاف والحرص على وحدة الصف.
- قضية التحرز من الغرور والابتعاد عنه خاصة بعد النصر.

إذ كانت اللغة المعبرة عن القضيتين مبنية عل الحجاج بمختلف آلياته وأساليبه الإقناعية.

ومما سبق يمكننا طرح التساؤلات الآتية:

ما هي أهم القضايا التي عالجها الخطاب القرآني التربوي للأمّة من خلال أحداث غزوة بدر في سورة الأنفال؟ وما السبل الحجاجية الإقناعية المميزة لهذا الخطاب؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، تبنينا الخطة الآتية:

مقدمة

1- الحجاج المفاهيم والسمات

1-1- المفهوم اللغوي

2-1- المفاهيم الاصطلاحية وسمات الحجاج

2- تمظهر الحجاج في الخطاب التربوي للأمة من خلال غزوة بدر في سورة الأنفال

2-1-القضية الأولى: الوحدة وأهمية إصلاح ذات البين.

2-2-القضية الثانية: كسر الغرور الذي أفرزه النصر.

الخاتمة

وسنحاول في هذا البحث أن نكشف عن تلك البنية وآلياتها وعلاقتها بذلك الخطاب.

1-الحجاج المفاهيم والسمات:

1-1-المفهوم اللغوي :

لقد ورد في المعاجم العربية أن الحج هو القصد، حج إلينا فلان؛ أي قدم، وحَجّه يَحُجّه قصده، ورجل محجوج، أي مقصود، وقد حج فلان فلانا إذا أطال الاختلاف إليه[1]، وفي موضع آخر الحُجة: البرهان وقيل الحجة ما ودوفع به الخصم...والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، والتّحاجج، التخاصم، وجمع الحُجَّة حُجَجٌ وحجَاجٌ، وحاجَّه مُحاجَّةً وحجَاجًا نازعه الحُجَّةَ، والحُجَّةُ الدّليل والبرهان، وهو رجل محْجَاجٌ أي جَدلٌ[2].

كما ورد بمعنى القصد في معجم مقاييس اللغة، «ومن الباب المحجّة، وهي جادة الطريق، قال:

أَلا أَبلِغا عَنّي حُرَيثاً رِسالَةً**** فَإِنَّكَ عَن قَصدِ المَحَجَّةِ أَنكَبُ

ويمكن أن تكون الحُجّة مشتقة من هذا؛ لأنّها تقصد(بضم التاء)، أو بها يقصد الحق المطلوب، يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع الحجج، والمصدر الحجاج»[3].

وبما أن الحجاج هو مصدر للحجّة والحجّة مراد فيها الدليل، ومنه فالحجّة تستلزم مقدمات حتى يذعن بها الخصم، وعليه فمجال الحجاج هو التنازع والمغالبة في إطار التواصل.

2-1-المفاهيم الاصطلاحية وسمات الحجاج:

اصطلاحا تنازعته اتجاهات ثلاثة: اتجاه فلسفي منطقي واتجاه بلاغي(البلاغيين الجدد)، واتجاه لغويّ الحجاج، فتنوعت مفاهيمه بتنوع تعاريفه.

فجاءت بنية التعريفات مختلفة اختلاف وجهة النّظر، فمنهم من عرفه من خلال سماته الموضوعية العامة، أو البنى اللغوية، أو علاقته البلاغية، أو من حيث الوظائف الاتصالية والإيصالية.

فعند المناطقة والفلاسفة لخصه"طه عبد الرحمن" في قوله: «أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحقّ له الاعتراض عليها»[4] أي أنّه «لا مخاطب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة (المُدّعي)ولا مخاطب (بفتح الطاء)من غير أن تكون له وظيفة (المعترض)»[5].

ويدعم هذا التّعريف «الملامح الخمسة التي حددها أوليفي روبول Olivier Reboul فالحجاج:

- ✓ يتوجه إلى مستمع.
- ✓ يعبر عنه بلغة طبيعية.
- ✓ مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- ✓ لايفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- ✓ ليست نتائجه ملزمة»[6].

أما من وجهة نظر البلاغيين الجدد وعلى رأسهم بيرلمان Perelman وتيتكا Tyteca فقد أوردا عدة تعريفات أهمها أن الحجاج هو: «طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم، أو زيادة درجات تلك الاستمالة»[7].والمقصود من التقنيات هي تقنيات الوصل والفصل، وهي تقنيات بلاغية[8] واعتبرا أن غاية الحجاج الأساسية هي: «أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»[9].

ومن خلال تعريفهما للحجاج يلاحظ أنهما جعلا الحجاج يقوم على دعامتين الأولى جدلية وحقي التمشي الفكري الذي يؤدي إلى التأثير الذهني في المتلقي، أما الثانية فهي خطابية وهو توجيه السلوك أو العمل[10].

ثمّ ظهرت نظرية الحجاج في اللّغة مع أشهر رواد لغويّ الحجاج أوزوالد ديكرو O.Ducrot وانسكومبر Anscombre، حيث يعرفه أحد أبرز المهتمين بهذا النّوع من الحجاج أبو بكر العزاوي وبتعبير حجاجي يقول:« هو مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينهما أنماط مختلفة من

العلائق، فالحجّة تستدعي الحجّة المؤيدة أو المضادة، والدّليل يفضي إلى النّتيجة، والنّتيجة تفضي إلى دليل آخر، وكلّ قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجه القول الذي يتلوه»[11] وبعبارة أخرى«فإنّ الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقية ودلالية مثل علاقات الشرط والسببية والاستلزام والاستنتاج والتعارض (فهي علائق حجاجية استدلالية)»[12].

يعني أنّ الحجاج عند اللغويين هو منظومة من العلاقات اللّغوية، أوسلسلة قولية تتضمن حججا لغوية ونتائجها.

إذن الخطاب الحجاجي له سمات يتميز بها تجعله يؤدي وظيفته الإقناعية وهذه السّمات بحسب رونو Renaud تندرج في الآتي:

1. **القصد المعلن:** وهو أن يحدث تأثيرا في المخاطَب، يعني إقناعه بفكرة معينة، وهذا ما سماه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية.
2. **التناغم:** فالخطاب الحجاجي يقوم على منطلق معين، ويوظف التسلسل الذي يحكم في تأثيرات الكلام سواء أكان الأمر فتنة أو انفعالا، ويكون له القدرة على معرفة نفسية المستقبل وقدرته، لهذا يأتي بالفكرة على أشكال مختلفة، فيظهر فيه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام.
3. **الاستدلال:** وهو سياقه العقلي، فهو نص قائم على البرهنة مفتاح نظامه لساني، فإذا أعدنا الحجاج إلى أبسط صورة وجدناه ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية، يستجيب لنية الإقناع.
4. **البرهنة:** وهي الأمثلة والحجج وكل آليات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلالا ووصولا[13].

إذا أمعنا النظر في رأي الاتجاهات الثلاثة نجد أن الفكر الفلسفي المنطقي يحدد لنا محاور ثلاثة يقوم عليها الحجاج وهي القضية والمدّعي المخاطِب والمعترض (المخاطَب).بينما يركز اتجاه البلاغيين الجدد على المؤثرات. أما اتجاه لغويّ الحجاج فيركزون على المنظومة اللغوية " القولية" وما احتوته من حجج ونتائج.والجامع بين هذه الاتجاهات الثلاثة هو الإقناع والتأثير والاستمالة.

وصفوة القول أنّ الحجاج يجمع بين التأثير النظري والتأثير السّلوكي، ويتطلب طرفين هما محور الحجاج وهما(المتكلم والسّامع) فهو خطاب ذو وظيفة إقناعية.

2- تمظهر الحجاج في الخطاب التربوي للأمة من خلال غزوة بدر في سورة الأنفال:

معلوم أنّ القرآن المكي حرص على تربية الفرد، وذلك بالتركيز على الجانب العقائدي والرّوحي، أمّا القرآن المدني فقد حرص على تكوين الجماعة وبناء الأمّة، لذا اهتم بالجانب التشريعي للمعاملات والعبادات وما تضمنته من ربط للجماعة وتوحيد للصفوف، فأخذ يعالج الآفات التي تهدم الصف وتقضي على الجماعة وتهزمها.

ومن السور المدنية التي كانت تعالج ذلك سورة الأنفال التي نزلت بعد تخاصم المسلمين في غنائم بدر، فتناولت العديد من المشاهد المتعلقة بهذه الغزوة كموضوع الغنائم والأسرى ونبهت المؤمنين إلى عدّة قضايا لها أثر عظيم في حسن تربيتهم وإعدادهم[14].

ومن أهم القضايا التي ركز عليها الخطاب القرآني في هذه السورة وعالجها في أحداث بدر قضيتان لهما دور كبير في تربية المؤمنين وإعدادهم، وتكوين الأمة.

2-1-القضية الأولى: الوحدة وأهمية إصلاح ذات البين:

فهذه قضية أساسية في بناء مجتمع قوي منيع تربط الوحدة بين أفراده وجماعاته، لأنّ التّفرق والاختلاف والتّنازع يُوهن القوة ويضعفها[15]. حيث نزلت الآيات الأولى من السورة ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)**﴾ الأنفال، بسبب ما حدث بين أصحاب بدر، من اختلاف حول تقسيم الغنائم، فعن عبادة بن الصامت قال" فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النّفل يوم بدر فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا فرده على رسولهﷺ فقسمه بيننا على السّواء"، ولقد اختلف رأي المفسرين في الآية بسبب اختلاف القراء ففي قراءة " يسألونك الأنفال" أي يسألك الشبان نصيبهم منها، وقراءة "يسألونك عن الأنفال"أي كيفية تقسيمها[16].

وأيّا كانت القراءة فقد وقع الخلاف بين أصحاب بدر، لذا جاء الخطاب في هذه الآيات متضمنا بنية حجاجية، تدعو إلى ضرورة الوحدة بين الجماعة، ونبذ الخلاف والنّزاع، وإصلاح ذات البين، فهي محملة بخصائص حجاجية، وبنية إقناعية منها:

- ✓ **أفعال الكلام:**

الأفعال الكلامية هي الأفعال التي:« تُحدث أثرا في سلوك المتلقي، سواء أكان هذا الأثر نفسيا أم سلوكيا(جسديا)، وغايته حمل المتلقي على الإقناع »[17]، وعلى هذا جاءت الآية الأولى من السورة حاملة لأفعال كلامية ذات غاية إقناعية. ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)**﴾ "الأنفال" فالفعل التوجيهي« يسألونك عن الأنفال» سؤال، والسؤال حقيقته الطلب، فالقول حجة في لفظه ومعناه، أما نتيجته معرفة حكم الأنفال وطلب الأثرة ببعضها، والتوجيه الحجاجي إيذان بنشوب

التخاصم، والتنازع بين الفريقين في أحقية الأنفال، وفي ذلك يقول ابن عاشور: «السؤال حقيقته الطلب وإذا عدّي بعن فهو طلب معرفة المجرور بعن، وإذا عدّي بنفسه فهو طلب إعطاء الشيء، وهنا "يسألونك "معرفة حقها فهو من تعليق الفعل باسم ذات المراد حالها، بحسب القرينة، وإنّما سألوا عن حكمها صراحة وضمنيا الأثرة ببعضها»[18]، جاء الفعل "يسألونك" المرتبطة بالجمع بصيغة المضارع فهو يدل على الاستمرارية، كما دل على تكرار السؤال من طرف الصحابة «ولذلك كان قوله "يسألونك" مؤذنا بتنازع بين الجيشين في استحقاق الأنفال»[19]، فالموقف التربوي الأول للسورة يبين لنا مدى خطورة التنازع بين أفراد المجتمع، وكيفية التعامل معه.

وقد حرص الخطاب القرآني في مطلع هذه السورة على الاستهلال بالسؤال عن الأنفال، ثمّ إصدار الحكم القاطع فيها؛ ليأتي ذكر الحكم كنتيجة حاسمة للنزاع، فقال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ ففي هذه الآية الفعل الكلامي﴿ **قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾، كان جوابا مبدئيا لسؤال هذه الجماعة، التي وقع بينها التنازع في الأنفال، وهي الفئة المميزة من صحابة النبيﷺ، فهي تضم المهاجرين والأنصار، العصبة الأولى التي قال عنها الرّسول ﷺ في دعائه « اللّهم إن هلكت هذه الفئة فلن تعبد في الأرض...»[20] فهي اللبنة الأولى لتكوين الأمّة، لذا كان هذا الفعل الكلامي التوجيهي﴿ **قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ حجّة في لفظه ومعناه، نتيجته إعلان ملكية الأنفال لله والرّسول، وليس لكم منها شيء، وهذه النتيجة تدل على لطف التربية في الخطاب القرآني للأمّة بصرف أنظارهم عن الغنائم، وعن المكافأة الدنيوية التّي أوقعت التنازع بينهم، أمّا التّوجيه الحجاجي له هو القضاء على سبب النّزاع وحسمه، وغلق باب الفرقة دونهم، ويؤيد ذلك قول السيد قطب: «لقد أخذهم الله سبحانه بالتربية الربانية قولا وعملا، نزع أمر الأنفال كلّه منهم ورده إلى الرّسول ﷺ حتّى أنزل حكمه في قسمة الغنائم بجملتها، فلم يعد الأمر حقا لهم يتنازعون عليه، إنّما أصبح فضلا من الله عليهم»[21].

ثمّ تلاها بأفعال كلامية توجيهية، تخدم الموقف التربوي، وتدعم الإقناع في قوله : ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾أنفال، فوردت الأفعال القولية بصيغة مباشرة، وهي الأمر الذي يضفي إلى بعد حجاجي بوصفه قاعدة إنجازية [22]. وهي (فاتقوا/أصلحوا/أطيعوا) فهي أفعال إنجازية صريحة، وقد جاءت محققة عن طريق الاستعلاء والإلزام، متجهة نحو التوجيه والإرشاد من الآمر سبحانه إلى المأمور، أصحاب بدر، أما المحتوى القضوي لهذه الأفعال هو ما تتضمنه من مقاصد طبقا للسياق أو المقام، فالتقوى تنجي من العذاب، وفي هذا المقام لا تكون إلاّ بالعودة للعدل في تقسيم الأنفال، وتجنب المشاجرة، والصلح يقضي على التنازع، وهو بترك الغلول، وردّ ما أخذتموه، والمساواة فيما وقع بين أيديكم، والطّاعة

ترفع إلى الدّرجات العلى، وهي إلزامهم بقبول الحكم والرضى به، ويؤيد ذلك ما جاء في روح المعاني:«...فاتقوا الله من الاستقلال بما أخذتموه، أو إخفاء شيء منه، بناء على أنّكم كنتم موعودين به ..وأصلحوا ذات بينكم بالرد والمساواة فيما حلّ بأيديكم.» [23]

وعليه فقد جاء الارتقاء الحجاجي في هذا السلم مبنيا على:

ن ← كمال الإيمان (قلوب نقية من كل الشوائب)
3ح ← الطاعة لله ورسوله ﷺ.
2ح ← إصلاح ذات البين.
1ح ← التقوى.

فهو مرتبط منذ بدايته بالكمال الإيماني الذي لا يحصل إلاّ بالإتيان بهذه المراتب الثلاث، فالتدرج في الخطاب التربوي القرآني في إدراج الحجج يصل بأصحاب بدر إلى الإذعان، والارتقاء بإيمانهم، بتنقية قلوبهم وسلامتها من كلّ حقد وغل، بحيث بدأت الحجة الأولى بأمرهم بالتّقوى، وذلك دفعهم للانتباه لما هم فيه، وتحريك الرّوح الإيمانية في قلوبهم لاستمالتها لترك التّخاصم والنّزاع من أجل الدنيا وزينتها، ثمّ يأتي الأمر بإصلاح ذات البين كحجة ثانية، أكثر قوة ودافعية لترك ذلك النزاع، وذلك بإخراج أثر التعلق بالدنيا(الغلول) من قلوبهم، وتجسيدها في واقعهم لترك الأنفال والغنائم، وبعدها جاءت الحجّة الثالثة الأقوى، وهي طاعة الله ورسوله ﷺ، التي من أجلها خرجوا، وقاتلوا في سبيلها، فحملهم على الإذعان لأوامره.

✓ **الوصف والقصر:**

لقد واصل الخطاب القرآني التّربوي للأمّة في سياق حجاجي مقصود، يؤدي توجيهه إلى حثّ المؤمنين على الرضى بما قسم النبي ﷺ من غنائم بدر، وأن يتركوا التشاجر بينهم، وذلك بآلية القصر، الذي يُعدّ عاملا من عوامل الحجاج، فهو وسيلة ضابطة، ومقيدة للتوجيه الحجاجي، والقصر يتضمن آليات هي (إنّما – ضمير الفصل – "ال" الموصولية – النفي والاستثناء) فكلّ هذه الآليات تُعدّ عوامل حجاجية.

فيأتي العامل الحجاجي «إنّما» في الخطاب « لخبر لا يجهله المخاطَب، ولا يدفع صحته، كقولك لرجل : " إنّما هو أخوك " فإنّك لا تقول ذلك لمن يجهل الخبر ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويُقرُّ به»[24]. وما يؤكد عاملية الصرفم "إنّما" في التوجيه الحجاجي ما يقوله الجرجاني : « إلاّ أنّك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حقّ الأخ وحرمة الصاحب»[25].

ومما جاء في هذا السياق قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**

﴿يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)﴾الأنفال، فالآيات في سياق حجاجي، وهي أقوال سيقت ليُثبت بعضها بعضا، فهي على تراتيبها وتعدّدها تؤدي إلى نتيجة واحدة، يطالب من خلالها سبحانه وتعالى أصحاب بدر بالإذعان لها.

ق1 (إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)

ق2 (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا)

ق3 (وعلى ربّهم يتوكلون)

حيث مثلت هذه الأقوال الثلاثة حججا لنتيجة واحدة، هي دعوتهم إلى تنقية الباطن، وتصفية القلوب من آثار الخلاف، وحبّ الأنفال.

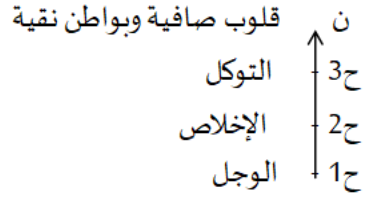

وكما هو واضح من خلال ترتيب الحجج التي تُبيّن أحوال القلوب والبواطن، فهي تُقَدَم كحجج لإقناعهم بتغيير باطنهم، وتنقيته مما جال فيه من رغبة في الغنيمة، ومن آثار ذلك الخلاف والنزاع، للوصول بهم إلى التسامح الباطني، وليس الظاهري فقط، حيث جاءت الحجّة الأولى الوجل؛ أي وجل الخوف من عقاب الله، ووجل الانقياد والقبول بالحكم، والرّضى به، ثمّ تليها الحجّة الثانية الأقوى منها، وهي حجّة الإخلاص، أي بالانقياد لمقامات التكاليف لله، ثمّ الحجّة الأقوى تأثيرا، هي التّوكل على الله؛ وذلك بالانقطاع كلّية عمّا سوى الله، والاعتماد بالكلّية على فضله، والغنى عمّا سواه، ويؤيد ذلك ما جاء في ظلال القرآن: « تلك الصفات التي حدّدها الله تواجه حالة واقعة، وهي حالة الخلاف على الأنفال، وفساد ذات البين من جرائها، فتذكر من صفات المؤمنين ما يواجه هذه الحالة »[26]، ثمّ انتقل الخطاب التربوي إلى الأحوال الظاهرة في قوله:﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ فقد عبّر عن صفة القيام، والإنفاق بالفعل المضارع «يقيمون» و«ينفقون»، وفيه إشارة إلى الاستمرارية والتّجدد.

فالصلاة والصدقة تطهران القلب، لذا فهما حجّة أخرى على أنّ فعل الطّاعات من قيام، وإنفاق نتيجته الكمال الإيماني، الذي يصبح صاحبه ذا قلب سليم، ويؤيد هذا المعنى ما جاء في تفسير فخر الدين الرازي: «أنّ الصفات المذكورة قسمان : الثلاثة الأولى :هي الصفات القلبية والأحوال الروحانية، وهي الخوف والإخلاص والتوكل، والاثنتان الأخيرتان هما الأعمال الظاهرة والأخلاق، ولاشك أنّ لهذه الأعمال والأخلاق تأثيرات في تصفية القلب »[27]، ثمّ تُليت هذه الصفات

بعاملية القصر بضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** (4)﴾ فالقصر هنا منطوقه أنّ الذين جمعوا ما دلت عليه تلك الصلات هم المؤمنون حقا، لكن مفهومه أنّ من انتفى عنه أحد مدلولات تلك الصلات لم يكن كامل الإيمان، فلتبتعدوا عما يخل بهذه الصلات ومدلولاتها[28].

فالتوجيه الحجاجي لهذا القصر هو الدعوة للابتعاد عمّا يخل بالكمال الإيماني، وترك الشحناء والبغضاء بينكم من أجل غنائم زائلة، ويدعم ذلك قول السّيد قطب: «فهذه الصفات تواجه الحرص على الشهادة بحسن البلاء، وتواجه ما وقع في ذات البين من سوء أخلاق، وتواجه ما وقع من نزاع على الأنفال، وهي تقرر حقيقة موضوعية، وهي أنّ هذه صفات المؤمنين، ومن فقدها جملة لم يجد حقيقة الإيمان »[29].

ثمّ ختمت الآية بقوله تعالى :﴿**لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ فهو حجاج نتيجته مكافأة الأعمال القلبية، والبدنية والمالية بالفوز بالسعادة في الدّارين، وذلك كلّه بناء على الاستمالة العاطفية، بواسطة الحجج التحفيزية، أمّا التوجيه الحجاجي فهو دعوتهم للترفع عن الخلاف والتنازع وحثهم على الابتعاد عن العداوة، والبغضاء فيما بينهم من أجل هذه الغنائم، والعودة للمودّة والمحبّة التّي تقوي صفوفهم، وتحقق الهدف الأسمى، وهو تكوين أمّة قوية وبناؤها بناء محكما، يتماشى وعظم المسؤولية التي ستحملها.

2-2-القضية الثانية: كسر الغرور الذي أفرزه النصر:

الغرور مرض يتعرض له الإنسان بعد إحراز النّجاح والتّقدم والانتصار، فيولد عنه الإعجاب بالذات، ممّا يُبعد صاحبه عن ربّه، وينسيه فضله عليه، فهو آفة تفسد النّفس، وتحرمها من فضل الله وتوفيقه، وتدمّر صاحبها، وتؤدي به إلى الهلاك، فما بالك حينما تصاب به الجماعة، لذلك جاء التّعليق القرآني على أحداث هذه الغزوة لكسر هذا الشّعور الذي يدمّر الأمّة، ملفتا الأنظار إليه، والتّأكيد عليه، في العديد من المواضع[30]. من خلال اعتماد الخطاب القرآني على الأسلوب الحجاجي، من منطلق تقديم الحجج الداحضة لهذا الشعور، ومن ذلك قوله تعالى:﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** (9) **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**(10) ﴾ "الأنفال" لقد جاء الخطاب القرآني في الآيتين بشحنة حجاجية تجلت في ألفاظ التعليل؛ كالمفعول لأجله، ولام التعليل المتصلة بالفعل المضارع المنصوب، وهي ألفاظ تدلك على الحجّة السبب، كما تدلك على النتيجة وهذه الدّلالات هي محور الحجاج [31].

فالمفعول لأجله ورد في قوله: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى**﴾فلفظة "بشرى" مفعول لأجله، وهي حجّة أولى لنتيجة "مدكم ودعمكم بالملائكة"؛ أي دعمكم بالملائكة مردفين في المعركة لغاية التبشير بالنصر، أما الحجّة الثانية فتمثلت في آلية لام التعليل المقترنة بالفعل المضارع في لفظة "لتطمئن"؛ أي الغاية والهدف من ذلك المدد بعث السكينة في قلوبكم، وأمّا التّوجيه الحجاجي فهو تثبيتكم ونصركم.

وقد زاد السّياق في تأكيد ذلك بعاملية القصر في قوله تعالى:﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**﴾؛ حيث تأكدت الغاية من الإمداد بالملائكة، وهي التبشير بالنصر، الذي حقيقته من عند الله، لأنّه لو كان بكثرة العدد لانتصر معشر الكفر، ثمّ أعقب هذا الحجاج بالقصر قصر آخر في قوله:﴿ **وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** ﴾ ليؤكد به أنّ هذا النّصر لم يأت من الأسباب، كالمدّ بالملائكة، أو غيره، وإنّما فاعله الحقيقي هو الله المدبّر لذلك، ثمّ ختم السّياق في الآية بأقوى الحجج لإثبات ذلك في قوله :﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾، فهذه الفاصلة القرآنية؛ جملة تعليلية، فالعزيز صفة تثبت أنّ الله هو الذي ينصر، والحكيم صفة تثبت أنّه هو الذي يدبّر الأمر، ولا يضع الأمور في غير موضعها، فالغاية من الآية العاشرة أنّ إنزال الملائكة، وإمداد المسلمين بهم، هي القوة المعنوية الباعثة لروح التحدي والبسالة في القتال، أمّا التّوجيه الحجاجي فهو تنقية القلوب، وتطهيرها من الارتباط بالأسباب في النصر، وما يؤكد ذلك ما جاء في ظلال القرآن:«...أن الله سبحانه لا يدع المسلمين يفهمون أن هناك سببا ينشىء نتيجة، إنّما يُرد الأمر كلّه إليه سبحانه _تصحيحا لعقيدة المسلم وتصوره_ وهذه الاستجابة وهذا المدد وهذا الإخبار به... كل ذلك لم يكن إلا بشرى ولتطمئن به القلوب، أما النصر فلم يكن إلا من عند الله...وهذه الحقيقة الاعتقادية التي يقررها السياق القرآني هنا حتى لا يتعلق قلب المسلم بسبب من الأسباب أصلا»[32].

أمّا المدد الثاني هو قصة مدد الماء في قوله تعالى:﴿ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11)** ﴾ "الأنفال"، فجاءت الحمولة الحجاجية في الآية مؤكدة للغاية الكبرى، وهي تنقية القلوب من شوائب الغرور بالنّصر، إذ شكلت بنية الفعل المضارع المقترنة بلام التّعليل حاضنة للخطاب، حيث جعلته خطابا إقناعيا، فكانت هذه الأفعال مدرجة للحجج، متضمنة معية الله سبحانه للعصبة المؤمنة لتسكين القلوب، وطمأنة الأرواح، ومؤكدة أنّ النّصر من عند الله.

فجاء السُّلم الفعلي كما في الشكل الآتي:

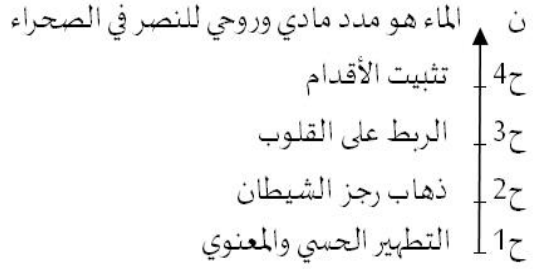

إذ هيمنت على السلّم أفعال متدرجة، أثبتت في نهاية السلّم أنّ الماء مدد مادي، وروحي من الله ليجلب به النصر للعصبة المؤمنة في هذه المعركة. ممّا يؤكد على حتمية إفراد الله دون غيره من الأسباب بنتيجة النصر في المعركة، ويؤيد ذلك ما جاء في الظلال:«...مدد مزدوج: مادي وروحي، فالماء في الصحراء مادة الحياة، فضلا على أن يكون أداة النصر. والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يواجه المعركة. فيتم المدد الروحي بالمدد المادي وتسكن القلوب بوجود الماء، وتطمئن الأرواح بالطهارة وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال»[33].

ثمّ يستمر الخطاب التربوي القرآني للأمة في إثبات تدبير الله للنصر في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (17) ﴾.الأنفال، فقد جاءت البنية الحجاجية في هذه الآية معتمدة على الرابط الحجاجي (لكن) بمعنى الاستدراك،« وهي تؤدي دور ترتيب الحجج في السلّم الحجاجي.»[34] ويمكن وصفها بأنّها «صافة حجاجية بالاستدراك.»[35] ففي هذه الآية: ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ** ﴾ نفى أن يكونوا هم القاتلون، ثمّ ارتقى بالحجاج درجة وهي إثبات أن القتل بيد الله، والنتيجة الحجاجية تتمثل في نفي اعتقاد المخاطَبين بأنّهم القاتلون، وأنّ القتل صادر عن أسبابهم، وإنّما القتل الحاصل يومئذ كان معجزة وكرامة من الله للرسول ﷺ وأصحابه. وكذلك في قوله: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾،فنفي الرمي عنه ﷺ وأثبته لله سبحانه وتعالى، أما النتيجة الحجاجية فهي نفي أن تكون تلك الرّمية مدفوعة بيد مخلوق، وإنّما هي مدفوعة بقدرة الخالق؛ إذ بلغت في تأثيرها إصابة عيون جيش المشركين، لذا كان نفي تأثير الرّمي لا نفي وقوعه.

والتوجيه الحجاجي لذلك هو التأكيد على أنّ يد الله هي المدبرة للمعركة ولقتل أعدائهم، وإصابة عيونهم بالحصى، ونفي أيّ شعور منهم بأنّهم السبب في الانتصار، ويؤيد ذلك ما جاء في الكشاف: « لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر، فكان القاتل يقول: قتلت وأسرت.. ولمّا طلعت قريش قال رسول الله ﷺ: هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسلك، اللّهم إنّي أسألك ما وعدتني، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : خذ قبضة من تراب فارمهم

بها، فلما التقى الجمعان قال لعليّ: أعطني قبضة من حصى الوادي، فرمى بها في وجوههم وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق مشرك إلاّ شغل بعينه، فانهزموا فأخذ المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم. فقيل لهم "فلم تقتلوهم" والفاء جواب شرط محذوف تقديره : إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم »[36] ثمّ قال: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾يعني أنّ الرّمية التي رميتها فأنت ما رميتها في الحقيقة، وإنّ رميك لا يبلغ أثره إلاّ ما يبلغه رمي البشر، ولكنّها كانت رمية الله، حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، فصورة الرّمية وجدت منه ﷺ، وأثرها إنّما من فعل الله عز وجل فكأنّ الله هو فاعل الرّمية على الحقيقة[37].

أما قوله: ﴿ **وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ فهذا حجاج آخر، جاء بآلية لغوية، وهي لام التّعليل والفعل المضارع في عبارة "وليبلي" فما بعد لام التعليل حجة "ليبلي المؤمنين" أي يعطيهم ويمنحهم، نتيجته النّصر، والغنيمة والأجر، أمّا التّوجيه الحجاجي التّأكيد على أنّ النّصر والعزة من عند الله.

ثم ختم قوله:﴿ **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾، وهي جملة اسمية زادت في التعليل على ذلك، الحجّة فيها أنّه يسمع استغاثتكم، ويعلم حالكم وضعفكم، وما في قلوبكم، ونتيجته جعل أسبابكم امتحانا لكم ولمدى تعلقكم بقدرة الله، أما التوجيه الحجاجي في ذلك هو التحذير والترهيب من الاغترار بظواهر النصر، ويدعم ذلك ما جاء في مفاتيح الغيب : « والمراد من هذا البلاء الإنعام أي يُنعم عليهم نعمة عظيمة بالنصرة والغنيمة والأجر والثواب... ثم إنّه تعالى ختم بقوله "إنّ الله سميع عليم" أي سميع لكلامكم، عليم بأحوال قلوبكم، وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب، لئلا يغترّ العبد بظواهر الأمور»[38].

وفي قوله تعالى ﴿**ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ** (18)﴾ "الأنفال" فقد وصل إلى تقرير أن الله موهن كيد الكافرين، إذ جاءت البنية الحجاجية معتمدة على اسم الفاعل بكونه آلية حجاجية «موهن» المصوغ من الفعل الرباعي [أوهن] فهو ليس مجرد وصف، بل هو حجاج نتيجته إضعاف تدبير الكافرين وتقديرهم على الدوام، أما التوجيه الحجاجي فهو تأكيد إرادة الله وتدبيره للنصر، فقدرة الله هي التي تولت قتلهم ورميهم وإضعاف تدبيرهم لتحقيق النصر.

ولا شك أن الخطاب القرآني التربوي في هذه الآيات حرص على انتهاج الأسلوب الحجاجي، معتمدا في ذلك على مجموعة من الحجج ليقنع بها الفئة المنتصرة بالقدرة الإلهية، التي تولت تحقيق هذا النصر، وليس لهم حول ولا قوة في ذلك.

وقد استرسل الخطاب القرآني التربوي في معالجة ما يمكن أن يحدثه النصر من أثر للعجب في نفوسهم والغرور بالنصر، بآلية تذكيرهم بالحال التي كانوا عليها قبل المعركة فقال تعالى:﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)**﴾ فجمعت الآية بين مشهدين مختلفين لتلك العصبة المنتصرة، المشهد الأول تذكيرهم بحالتهم قبل النصر على الأعداء، وهي حالة « الفزع والتربص والخوف» ﴿ **إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ** ﴾ وهو حجاج نتيجته نفي قدرتهم على النصر للتبرئة من الحول والقوة، فشكلت لنا هذه الحجج سُلّما حجاجيا، يمكن التمثيل له بالآتي:

ن ▲ عدم القدرة على النّصر، والتبرئة من الحول والقوة
ح3 ┤ الفزع
ح2 ┤ الضعف
ح1 ┤ القلة

ثمّ انتقل الخطاب إلى المشهد الثاني وهو مشهد النصر، والرزق الطيب، في قوله: ﴿ **فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ وهو حجاج نتيجته الشكر لله، والاعتراف له بنعمته وفضله، أن جلب لهم النّصر والغنيمة، وقد شكلت هذه الحجج سُلّما حجاجيا تمثّل في الشّكل الآتي:

ن ▲ الاعتراف بفضل الله ونعمته بجلب النصر والغنيمة
ح3 ┤ الرزق الطيب
ح2 ┤ النصرة
ح1 ┤ الإيواء

أما التوجيه الحجاجي لهذا الحجاج فهو كبح جماح الغرور بالنصر ودفعهم للاعتراف بفضل الله وتدبيره، ويؤيد ذلك ما جاء في ظلال القرآن: «يرسم التعبير مشهدا حيّا للقلّة، والضّعف والقلق والخوف: وهو مشهد التّربص، الوجل والترقب، الفزع ...والأيدي تمتد لتخطف، والقلّة المسلمة في ارتقاب وتوجس! ومن هذا المشهد المفزع إلى الأمن والقوة والنّصر والرزق الطّيب والمتاع الكريم في ظل الله الذي آواهم إلى حماه، وفي ظل توجيه الله لهم ليشكروا فيؤجروا »[39].

ويواصل الخطاب التربوي بأسلوبه الحجاجي رسم مشاهد هيئة الفئة المنتصرة، وحالها قبل النّصر،وبعد النصر، ولكن هذه المرة جاءت الصورة لتوضح موقف المشركين، وهم يمكرون بقائد

هذه الأمّة، فتوجه الخطاب إلى القائد الأعظم لهذه الفئة المؤمنة ﷺ في تذكيره بحاله قبل الهجرة، وهم يبيتون له، ويتآمرون عليه في قوله:﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)**﴾ فهذا العدول في الخطاب الهدف منه تذكيرهم بالمنّة العظمى في الحفاظ على هذه الدعوة، وحمايتها، فجاءت البنية الحجاجية في بداية الآية مبنية على التفريع الحجاجي« الذي يتحقق عندما يذكر المرسل حجته كلّيا في أول الأمر، ثمّ يعود إلى تنفيذها، وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكلّ جزء منها بمثابة دليل على دعواه»[40] ففي مطلع الآية في قوله: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ ذكر حجّة كلّية، ثمّ عاد إلى أجزائها في قوله :﴿ **لِيُثْبِتُوكَ أَوْيَقْتُلُوكَ أَوْيُخْرِجُوكَ** ﴾

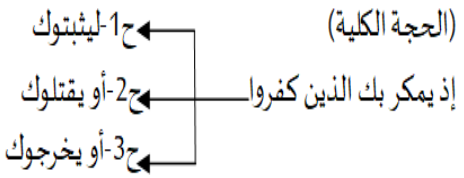

فهذه حجج متفرعة، دلت على ما كان منهم من مكر، وتخطيط للقضاء عليه ﷺ وعلى دعوته، وهو حجاج نتيجته فضحهم، والقضاء على كيدهم ومكرهم، أمّا التوجيه الحجاجي لهذا الحجاج هو إظهار حكمته، وتدبيره وقدرته في التمكين منهم، ونصركم عليهم، وإعلاء هذا الدّين، وهذه الفئة المؤمنة.

وختمت الآية بقوله:﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ وهو الحجاج بالتبادل، فيقابل مكرهم بأن أخرجهم إلى بدر وخذلهم، وأيّدكم بنصره عليهم.

وما يمكن الوصول إليه في هذه القضية، أنّ الخطاب القرآني التّربوي الحجاجي في هذه الآيات شكّل لنا قسما حجاجيا؛ حيث أنّه سبحانه أدبهم، وعلمهم الاعتراف بفضله ونعمته، ونصره وشكره على ذلك، والتبرؤ من حولهم وقوتهم، لأنّ الهدف الرئيسي من ذلك هو تكوين جماعة نقية السريرة، متعلقة بربّها في حال ضعفها وقوتها.

أمّا المتتبع لنهج الخطاب التربوي في معالجة الموقفين إصلاح ذات البين، والحرص على وحدة الصف، والابتعاد عن الغرور والعجب، يلاحظ أنّ هذا الخطاب قد ركّز في دعوته الحجاجية على تنقية القلوب، قلوب أفراد هذه الأمّة، إذ نجاة أفرادها، ورقيّهم لا يكون إلاّ بسلامة قلوبهم، وقوة الأمّة وتطورها لا يكون إلاّ بوحدة الصف، وانتشار المودّة بين أفرادها؛ لهذا حرص في أسلوبه الحجاجي على إقناعهم، واستمالة قلوبهم، وهو سبحانه من يملك قلوب عباده، بحجج ترغيبية،

وحجج ترهيبية، تارة مخاطبا للعقل، وتارة مخاطبا للعاطفة، من أجل دفعهم إلى الإذعان والامتثال لأوامره.

خاتمة

وفي خاتمة هذا البحث يمكن أن نسجل النتائج الآتية:

أولا: أنّ الخطاب القرآني التربوي للأمّة في هذه السورة اهتم بتنقية القلوب، وتطهيرها، من أثار الخلاف على الأنفال، وآثار الغرور بالنصر؛ وذلك لما للقضيتين من دور كبير في تكوين الأمّة.

ثانيا: أن الخطاب التربوي للأمة في القرآن الكريم يتسم بدينامية الإقناع وقوة الحجة.

ثالثا: لغته كانت مُحمّلة بآليات الحجاج اللّغوية والبلاغية؛ لأنّ الغاية والقصد من ورائه تكوين جماعة قوية، تحمل راية التغيير في وسط الحياة الإنسانية، فجاء ذلك الخطاب معالجا للأمراض التي يمكن أن تصيب الأمّة، وتذهب بريحها.

رابعا: الحجاج فيه كان متراوحا بين الاستمالة العاطفية، والإذعان العقلي؛ وذلك من خلال تقديم حجج متضمنة للترغيب والترهيب من ناحية، ومن ناحية أخرى منطلقة من موضع الواقع.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية حفص.

1. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج2،(دط)، 1979م، مادة(حجّ).
2. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2010م.
3. الزمخشري، الكشاف، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ط2، 2008م.
4. السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الأصول العلمية، تركيا، مج 3،ط1، 2019م.
5. شهاب الدين محمود الألوسي، تفسير روح المعاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5، ط1، 1415هـ.
6. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4، 2016م.
7. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2001م.
8. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م.

9. عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016م.
10. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط)، (دت).
11. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.
12. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الإحياء للتراث العربي، بيروت، ج15، ط 3، 1420هـ.
13. لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، (دط)، 2020م.
14. مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي البلاغي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015م.
15. محمد بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، مج4، (دط)، (دت).
16. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، (دط)، 2014م.
17. ابن منظور، لسان العرب، دار صابر، بيروت، مج2، (دط)، (دت)، مادة (ح ج ج).

المو اقع الالكترونية:

- علي عبد الحكيم، مقال "غزوة بدر في القرآن وقفات تربوية"، نشر يوم 02 يونيو 2018م، زيارة يوم 10 ديسمبر 2020م، https://tafsir.net/article/5089/ghzwt-bdr-fy-al-qr-aan-wqfat-trbwyh.

الهوامش:

[1]-ابن منظور، لسان العرب، دار صابر، بيروت، مج2، (دط)، (دت)، مادة (ح ج ج)، ص 228.

[2]-المرجع نفسه، ص ن.

[3]-أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ج2،(دط)، 1979م، مادة(حجّ)، ص 30.

[4]-طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4، 2016م، ص 226.

[5]-المرجع نفسه، ص ن.

[6]-عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016م، ص 16.

[7]-محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، (دط)، 2014م، ص188.

[8]-ينظر: لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، (دط)، 2020م، ص7.
[9]-عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م، ص59.
[10]-ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2001، ص28.
[11]-أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2010م، ص 18-19.
[12]-المرجع نفسه، ص ن.
[13]- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي البلاغي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015م، ص 41.
[14]-ينظر علي عبد الحكيم، مقال "غزوة بدر في القرآن وقفات تربوية"، نشر يوم 02 يونيو 2018م، زيارة يوم 10 ديسمبر 2020م، https://tafsir.net/article/5089/ghzwt-bdr-fy-al-qr-aan-wqfat-trbwyh .
[15]- ينظر علي عبد الحكيم، مقال "غزوة بدر في القرآن وقفات تربوية"، نشر يوم 02 يونيو 2018م، زيارة يوم 10 ديسمبر 2020م، https://tafsir.net/article/5089/ghzwt-bdr-fy-al-qr-aan-wqfat-trbwyh .
[16]-الزمخشري، الكشاف، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2،ط2، 2008م، ص184.
[17]-مثنى كاظم. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص133.
[18]-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، مج4، (دط)، (دت)، ص248.
[19]-المرجع نفسه، ن ص.
[20]-ينظر السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الأصول العلمية، تركيا، مج 3، ط1، 2019م، ص445.
[21]-السيد قطب، في ظلال القرآن ، مج 3، ص430.
[22]-ينظر: مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص144.
[23]-شهاب الدين محمود الألوسي، تفسير روح المعاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، مج5 ،1415هـ، ص154.
[24]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، (دط)، (دت)، ص228.
[25]-المرجع نفسه، ص ن.
[26]-السيد قطب، في ظلال القرآن ، ج3 ، ص 437.
[27]-فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب، دار الإحياء للتراث العربي، بيروت، ج15،ط3، 1420هـ، ص455.
[28]-محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير، مج4،ص261.
[29]- السيد قطب ، في ظلال القرآن،مج3،ص437.
[30]- ينظر علي عبد الحكيم، مقال "غزوة بدر في القرآن وقفات تربوية"، نشر يوم 02 يونيو 2018م، زيارة يوم 10 ديسمبر 2020م، https://tafsir.net/article/5089/ghzwt-bdr-fy-al-qr-aan-wqfat-trbwyh .
[31]-ينظر: لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، ص59.
[32]-السيد قطب، في ظلال القرآن، مج3، ص446.
[33]-السيد قطب، في ظلال القرآن، مج3، ص448.
[34]-لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، ص84.
[35]-المرجع نفسه، ص ن.

[36]-الزمخشري، الكشاف، مج2، ص196.
[37]-المرجع نفسه، ص197.
[38]-فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ، ص452.
[39]-السيد قطب ، في ظلال القرآن، ص465.
[40]-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م، ص494.